مجلد 08(عدد 01)/2023، ص 86–104 مجلة العمارة وبيئة الطفل ISSN 2478-0014 EISSN: 2710-8252

مساجد مدينة البليدة في العهد العثماني: تراث معماري متميز ما بين الذاكرة والنسيان

Mosques of the city of Blida in the Ottoman era: a distinguished architectural heritage Between memory and forgetting

كريم اخلفهوم* [1]

[1] جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجيا (الجزائر)، medinavilles@yahoo.fr

تاريخ الاستلام : 2022/09/07 تاريخ القبول : 2022/12/25

ملخص: إن مدينة البليدة حصيلة تحولات وتطورات متلاحقة ومتداخلة، لكل منها رصيد عمراني ومعماري أضيف إلى سابقه، واجتمعت بصمات الأجيال رغم اختلافها، وأعطت لها شكلا عمرانيا متميزا.

ذكر الرحالة " شاو " أن مدينة البليدة عرفت ألف تطور، قد يبدو تعبيرا مجازيا إلا أنه يحمل دلالة حقيقية على التغير والتطور الذي عرفته المدينة، والذي يمكن تتبع مميزاته منذ ظهور النواة الأولى للمدينة عام 1535 م إلى غاية أواخر العهد العثماني، حيث توسع عمرانها وكثر البناء فيها.

ما تزال حاليا بعض المعالم المعمارية قائمة متنوعة ما بين المساكن، المساجد، الأضرحة والحمامات، حيث سنتطرق في هاته الورقة البحثية إلى ما تحتفظ به مدينة البليدة من مساجد في الفترة العثمانية، ورغم قلتها فهي غنية بما تحمل من عناصر معمارية أصيلة أعطت صورة حقيقية وواضحة التخطيط والإنشاء لما خلفته هذه الحقبة من الزمن، وقد تبقى منها مسجدين وهما مسجد ابن سعدون بن بابا علي، وأيضا مسجد التركي الحنفي.

الكلمات المفتاحية: مدينة البليدة؛ العهد العثماني؛ المعالم المعمارية؛ مسجد ابن سعدون بن بابا علي؛ مسجد التركي الحنفي.

Abstract : The city of Blida is the result of successive and overlapping transformations and developments, each of which has an urban and architectural balance added to its predecessor, and the imprints of generations met despite their differences, and gave them a distinct urban form.

The traveler "Shao" mentioned that the city of Blida knew a thousand developments, which may seem a metaphor, but it bears a real indication of the change and development that the city has known, whose characteristics can be traced since the emergence of the first core of the city in 1535 AD until the end of the Ottoman era, when its urbanization expanded and increased construction in it.

Currently, some architectural monuments still exist, varying between housing, mosques, shrines and baths. In this research paper, we will address what the city of Blida preserves from mosques in the Ottoman period, and despite its scarcity, it is rich with authentic architectural elements that gave a real and clear picture of planning. The construction is due to the legacy of this period of time, and two mosques may remain, namely the mosque of Ibn Saadoun bin Baba Ali, and also the mosque of al-Turki al-Hanafi.

Keywords : Blida city; Ottoman era; Architectural features; Ibn Saadoun Ibn Baba Ali Mosque; Al-Turki Al-Hanafi Mosque.

* المؤلف المرسل

مقدمة :

إن أهم ما يساعد على دراسة التطور العمراني لمدينة البليدة هو مؤلفات المؤرخين وكذا مورفولوجية المنطقة التي تدخلت في تحديد شكل المدينة والخرائط التي تحتفظ بها مديرية الثقافة لولاية البليدة وهي تبين التوسع الواضح للمدينة بداية من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر ميلادي، والذي إتسم بالتدرج والتطور الملحوظ وذكر الرحالة "شاو" أن مدينة البليدة عرفت ألف تطور(Trumelet, 1987,p885.) ، قد يبدو تعبيرا مجازا إلا أنه يحمل دلالة حقيقية على التغيير والتطور الذي عرفته مدينة البليدة.

وفي عام 1515 م لم تكن مدينة البليدة سوى قرية صغيرة متكونة من إحدى عشر كوخا(مرآة المتيجة، 1986 ، ص 23).، تسكنها كل من قبيلة سيدي علي حجار وأولاد سلطان استقر بها الأندلسي سيدي أحمد الكبير سنة 1525م والذي اكتشف منبع للماء، والذي كان نقطة بداية نشأة مدينة البليدة وفي سنة 1535 جاء حاكم الجزائر الباشا خير الدين لزيارة سيدي احمد الكبير وأوضح له هذا الأخير سوء الأحوال الاجتماعية للسكان المحليين وكذا الأندلسيين، وبذلك أعطاه حاكم الجزائر آنذاك يد المساعدة وكانت بداية نشأة مدينة البليدة في العهد العثماني.

إن أصل نشأة مدينة البليدة يعود الى السكان المنفيين من الأندلس، والذين كانت لديهم خبرة في فن العمارة وتقنيات الري، والتي تجسدت في تشييد مدينة البليدة في الجزء الجنوبي لمخروط الانصاب لوادي الكبير الذي أعطاها شكل مروحة على موضع سهلي مناسب للتعمير، ذو انحدار ضعيف يسمح بتصريف المياه، وقد أحيطت المدينة في هذه الفترة بسور يرتفع بـ 3 إلى 4 أمتار تتخلله 06 أبواب وهي كالتالي:

باب الرحبة: الرحبة والتي تعني سوق متواجد جنوب المدينة، وكان يتميز بتجارة الحبوب، الزيوت والمواشي وكان يؤدي إلى جبل الشريعة والمناطق الغابية، ومنه الى زاوية سيدي أحمد الكبير، وهو الباب الذي تدخل منه القبائل المجاورة إلى المدينة، كبني ميصرة وبني علي وبني صالح وغيرهم.

باب السبت: شمال المدينة، كان يقام فيه سوق كل يوم السبت.

باب الزاوية: في الشمال الشرقي يفتح على طريق زاوية سيدي مجبر.

باب الجزائر: يوجد شرق المدينة، بمحاذاته جامع بابا محمد، ومع مرور الزمن توسعت أمامه مقبرة للعرب كما عرف بنشاط وحركية تجارية خاصة لانفتاحه على الطريق المؤدي لمدينة الجزائر.

باب الخويخة: يقع في الجنوب الشرقي للمدينة ويعرف بباب النجدة وهناك من يقول أن تسميته تصغير لشجرة الخوخ، وآخرين يقولون بأنها لفظة تركية.

الشكل (1) : باب الرحبة

المصدر: أرشيف بلدية البليدة 1948

الشكل (2) : باب الجزائر

المصدر: أرشيف بلدية البليدة 1948

ومن الناحية الجنوبية الغربية للمدينة بنيت القصبة والتي كانت تعتبر مركز القيادة حيث كان يسكنها حوالي 500 جندي من الجيش العثماني، وكان للمدينة في هذه الفترة محورين مهيكلين أساسين وهما: المحور الأول يتكون من شارع الرحبة وشارع الجغلالي بحيث يربط بين باب الرحبة وباب السبت واتجاهه شمال غرب وجنوب شرق.

بينما المحور الثاني يتكون من شارع كولوغليس(بلقايم قدور)، وشارع المقهى الكبير(زروق زرايبي)، ويربط بين باب القبور وباب الجزائر باتجاه شمال شرقي وجنوب غربي.

وعلى طول هاذين المحورين تتواجد أهم التجهيزات المدنية، أما عن الساحات فكانت هناك ساحتين وهما ساحة بباب السبت، وساحة بباب القبور وهذه الأخيرة كانت مكان للالتقاء والتجمع ومجال للعبور والتبادل أين يجد الوافدون بالقرب من هاذين البابين كل الاحتياجات الضرورية دون الدخول للمدينة.

وداخل أسوار المدينة نجد نسيج عمراني مكون من سكنات صغيرة بها ساحات داخلية ومسقفة بسطوح، والتي تقع في نهاية المسالك المسدودة.

أما مركز المدينة فكان مخصص لمقر الحكم والأنشطة الجماعية والخدمات، خلافا للمحيط الذي كان مخصصا لاستقبال الأنشطة الملوثة، وهذا النوع من التنظيم العمراني كان يهدف لحماية السكان المحليين من الغرباء وجعل المنازل منطوية على ذاتها بتوفرها على ساحات داخلية وفق مبدأ حماية الخصوصية، وهو النموذج المميز للمدن الإسلامية.

وأهم التجهيزات التي عرفتها هذه الفترة هي إقامة أربعة مساجد منها ما هدم، ومنها ما هو قائم محافظ على كيانه المعماري، حيث بقي مسجدين وهما **مسجد ابن سعدون بن بابا علي، والمسجد التركي الحنفيين** ولقد عرف فن بناء المساجد تطورا ساير رفاهية الحضارة الإسلامية (ابلي لومير، 1985، صفحة 63).

الشكل (3) : مخطط مدينة البليدة خلال الفترة العثمانية

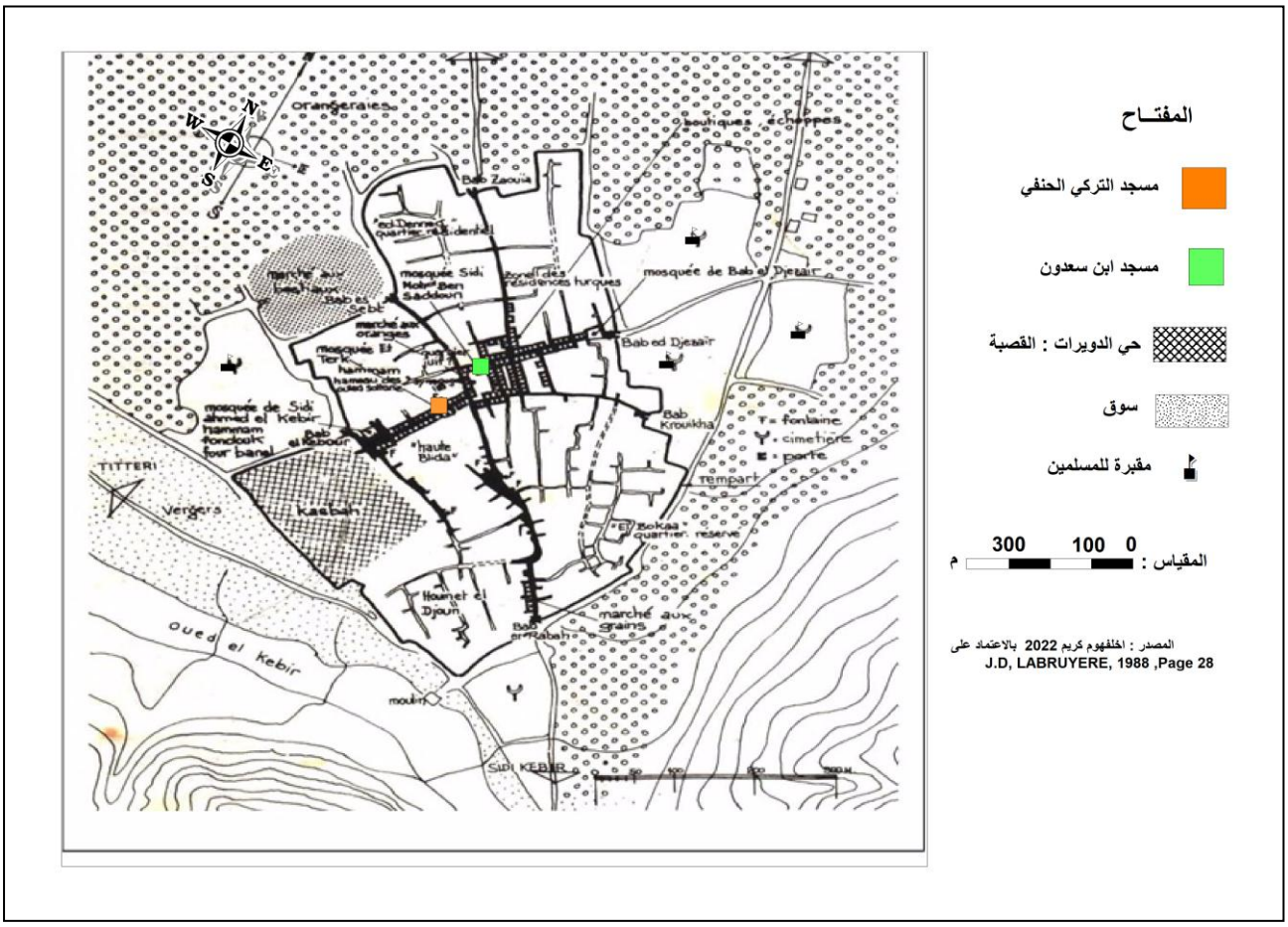

المصدر : الباحث بالاعتماد على J.D. LABRUYERE, 1988,Page 29

وتعتبر المساجد أدلة مرئية ملموسة خالدة تشهد أكثر من أي إنتاج آخر من ثمار الحضارة الإسلامية العربية بأهمية التراث الذي قدمته هذه الحضارة في النواحي الدينية والاجتماعية والعلمية التعلمية والعمرانية والفنية.

إن التراث المعماري في الفترة العثمانية كما هو معروف عند الباحثين من الفترات التي نجهل الكثير من جوانبها لعدم العناية بهذه الحقبة من الزمن، والسؤال الرئيسي الذي يطرح في هاته الورقة البحثية: ما هي مميزات وخصائص التراث المعماري للمساجد في العهد العثماني بمدينة البليدة.

يحتاج الباحث في إنجاز مثل هذه الأنواع من البحوث إلى كل المناهج الممكنة، ليستعين بها للوصول إلى مبتغاه، ولكن قد يغلب نهج في بحث ما على غيره وهذا راجع إلى طبيعة الموضوع ، ويناسب موضوعنا ويبرز فيه المنهج الوصفي التحليلي لأن المقام مقام عرض وتحليل.

ان ما تحتفظ به مدينة البليدة من مساجد الفترة العثمانية، رغم قلتها فهي غنية بما تحمل من عناصر معمارية أصيلة (سعاد بن شامة، 2009، صفحة 74)، هي مساجد أثرية أربعة منها ما هدم ومنها ما هو قائم محافظ على كيانه المعماري، ذلك ما أمكن احصاءه من جملة ما شيد من تلك المساجد بمدينة البليدة والتي تعود للفترة العثمانية. وأول مسجد شيد بها هو مسجد سيدي أحمد الكبير عام 1535 الا أننا لا نجد له أثر فقد هدم، أما ثاني مسجد بني فهو مسجد بابا أحمد هو الاخر اندثر، ليبقى المسجدين مسجد ابن سعدون بن بابا علي، والمسجد التركي الحنفي قائمين الى يومنا هذا.

الشكل (4) : موقع المسجدين ابن سعدون بن بابا علي، والمسجد التركي الحنفي

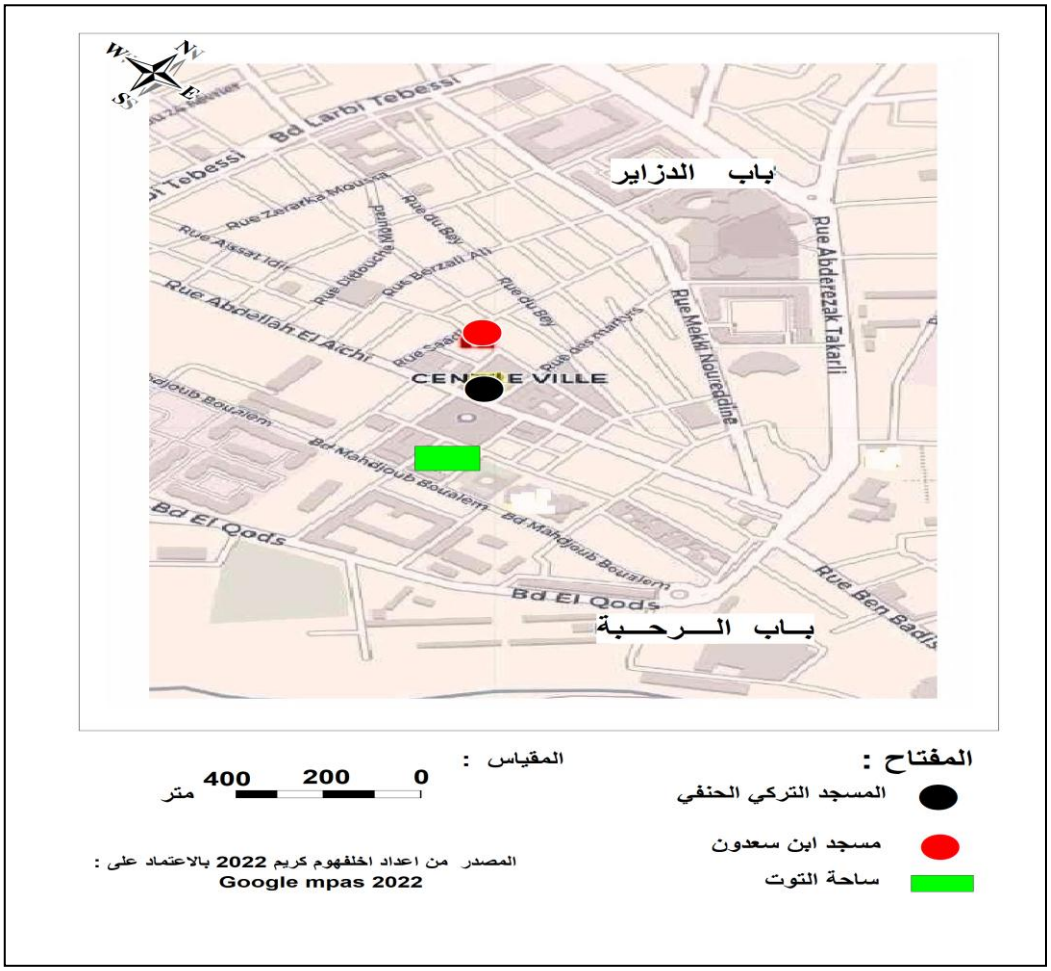

المصدر: الباحث 2022

وتجدر الإشارة أن مساجد مدينة البليدة في العهد العثماني لم يتم التطرق الى تراثها من طرف الباحثين الا في بحوث قليلة جدا نذكر منها: الأستاذة سعاد بن شامة (2009) في بحث مقدم لنيل شهادة الماجيستر بعنوان المنشآت المعمارية الأثرية بمدينة البليدة في العهد العثماني (المساجد، الأضرحة، المساكن، الحمامات) دراسة معمارية أثرية، ولقد أثبتت الدراسة أن ما تحتفظ به مدينة البليدة من مساجد الفترة العثمانية رغم قلتها فهي غنية بما تحمل من عناصر معمارية أصيلة أعطت صورة حقيقية وواضحة التخطيط والانشاء لما خلفته هذه الحقبة من الزمن، فالمسجدين ابن سعدون والمسجد الحنفي التركي مثلا خصائص الفن المسجدي المتمثلة في بيت الصلاة كعنصر أساسي في المسجد وملحقاته المكملة لدوره كالمحراب والمئذنة، ولقد ظهرت هاته المساجد بميزات خاصة حملت خصائص الفن المعماري الإسلامي متجاوب مع القيم الاجتماعية والمعطيات الجغرافية والمادية لإقليم مدينة البليدة.

. الطريقة والأدوات:

اعتمدنا في هاته الورقة البحثية على جانبين متكاملين هما الجانب النظري والتطبيقي، حيث يشتمل الجانب النظري على كل ما يتعلق بالمكونات الأساسية للمساجد، والتي اعتمدنا عليها في المقارنة من حيث ربط المنشأت تاريخيا وتحليل مخططاتها وتصاميمها وعناصرها المعمارية،كما استفدنا من الجانب القانوني المتعلق بنمطية المساجد في الجزائر وكذا التنظيمات المتعلقة بكيفية اجراء عملية الترميم على الممتلكات التاريخية، بينما الجانب التطبيقي اعتمدنا على الملاحظة المباشرة بتصوير المساجد المعنية بالدراسة، كما استخدمنا أسلوب المقابلة مع أئمة المسجدين بسرد تاريخيها كما أجرينا لقاء مع مدير الثقافة لولاية البليدة، والذي أعطى لنا عدة معطيات من أهمها مختلف عمليات الترميم التي أجريت على المسجدينن كما زودنا ببعض المخططات والتصاميم المعمارية للمسجدين.

كما انتقلنا بعدها لمكاتب الدراسات التي أشرفت على عمليات الترميم والتي زودتنا بمختلف المخططات المعمارية للمسجدين.

1.تعريف المسجد :

تعد عمارة المساجد من أبرز فروع العمارة الإسلامية التي تاثرت بالجانب الروحي للاسلام، حيث أصبح المسجد هو نواة التخطيط في جميع العصور التي مرت بها المدينة الإسلامية(المقرن عبد العزيز، 1999، صفحة 33).

1.1.مفهوم المسجد:

المسجد فهو المكان المعد للصلوات، وهو كل مكان يتعبد فيه فهو مسجد أي كل موضع من الأرض هو مسجد لقوله (ص) " جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا " راوه مسلم، فالمسجد هو المكان الذي يجتمع فيه المسلمون لأداء صلاتهم من جهة ولتعلم كل ما بشانه أن ينظم ويسير حياتهم، ويعرف أيضا على أنه بيت الله يجتمع فيه المسلمون لأداء صلاتهم وتلاوة القرآن الكريم وذكر الله، ولتعلم ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم (القانون الأساسي للمسجد، المادة 2 ، 2013، الجريدة الرسمية الجزائرية رقم 58).

1.2.العناصر المكونة للمسجد:

ـ بيت الصلاة: ويسمى أيضا حيز الصلاة أو الظلة أو الرواق، ووظيفته أنه مكان الصلاة في المسجد، بحيث يفضل الشكل المستطيل لقاعة الصلاة في تصميم المسجد مع مراعاة أن تكون واجهة القبلة على أطول جانب من المستطيل(دفتر الشروط النموذجي المتعلق بنمطية بناء المساجد، المادة 22 ، 2022، الجريدة الرسمية الجزائرية رقم 61).

ـ الصحن: وهو فناء واسع مكشوف للسماء، والتي تتصل بحرم المسجد وأروقته وجدرانه الخارجية(سخري عادل، 2018، صفحة 60).

ـ االقبلة:وهي مصدر المسجد، وهي جداره المتجهة نحو الكعبة، بحيث يرتكز التوجيه الصحيح لقاعة الصلاة نحو اتجاه القبلة، واذا كان اتجاه القبلة لا يتوافق مع النسيج الحضري، يجب على المصمم بشكل الزامي توجيه قاعة الصلاة في الاتجاه الصحيح للقبلة (دفتر الشروط النموذجي المتعلق بنمطية بناء المساجد، المواد 15، 16 ، 2022، الجريدة الرسمية الجزائرية رقم 61).

ـ المحراب: وهو المكان الذي يشير الى اتجاه القبلة، ويكون في وسط جدار القبلة حتى يكون الامام في منتصف الصفوف (Benyoucef Brahim، 1994، p56.) . حيث يعتبر المحراب فضاء يقع في منتصف الجدار الأمامي لقاعة الصلاة، ويكون شكل المحراب مقوسا يتراوح متوسط مساحته بين 2 و 3 م^2 . (دفتر الشروط النموذجي المتعلق بنمطية بناء المساجد، المادة 37 ، 2022، الجريدة الرسمية الجزائرية رقم 61).

ـ المنبر: لقد حدد الفقهاء موقع المنبر بالنسبة للمحراب، بجعله يسار المحراب تلقاء يمين المصلي اذا استقبل بمسافة ذراع أو ذراعين(Golvin. L. 1970 , p211.) .

ـ المئذنة:

وقد بات انشاء المآذن جزءا لا يتجزأ من انشاء المساجد، وتنوعت أشكالها وهندستها بتنوع العصور التي مرت على ديار المسلمين، ويمكن أن تكون وضعية المئذنة في محور المحراب بواجهة القبلة أو على أحد الجوانب الأربعة للمسجد، بحيث يختلف ارتفاع المئذنة باختلاف النسيج العمراني الذي يقع فيه المسجد. (دفتر الشروط النموذجي المتعلق بنمطية بناء المساجد، المادة 57 ، 2022، الجريدة الرسمية الجزائرية رقم 61).

الشكل (5) : ارتفاع المئذنة باختلاف النسيج العمراني

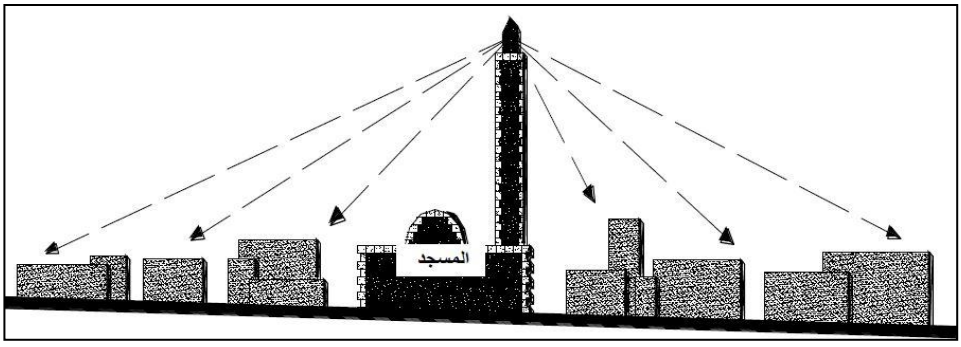

المصدر: الباحث 2022

ـ المقصورة: هي فضاء يقع بالقرب من المنبر خلف جدار القبلة مباشرة، وهي لا تعتبر جزءا من قاعة الصلاة (دفتر الشروط النموذجي المتعلق بنمطية بناء المساجد، المادة 39 ، 2022، الجريدة الرسمية الجزائرية رقم 61).

2. التعريف بالمساجد التاريخية بمدينة البليدة

2. 1 . التعريف بمسجد ابن سعدون بن بابا علي :

يحمل مسجد ابن سعدون اسم صاحبه ابن سعدون بن بابا علي الذي بناه في القرن 17، حيث يتوسط مدينة البليدة اذ نجده وسط مباني سكنية وتجارية جعله غير مميزا عن تلك المباني حتى يكاد لا يظهر، لولا أبوابه الثلاثة المتقتحة على ممرات ضيقة بشارع بن كالي عمر في الناحية الشمالية وفي الناحية الغربية شارع 17 جوان، أما من الناحية الجنوبية فشارع الاخوة شويط، بينما من الجهة الشرقية فليس بها مدخل.

الشكل (6) : المدخل الغربي للمسجد ابن سعدون بن بابا علي

المصدر: الباحث 2022

الشكل (7) : المدخل الجنوبي للمسجد ابن سعدون بن بابا

المصدر: الباحث 2022

يلي كل مدخل من مداخل مسجد ابن سعدون أربعة أروقة وكل رواق منها ينتهي بمدخل ينفتح على بيت الصلاة، ويرتفع أعلى هذه المداخل عقودا.

الشكل (8) : الرواق الشمالي

المصدر: الباحث 2022

الشكل (9) : الرواق الجنوبي

المصدر: الباحث 2022

وكما ذكرنا سبقا تنفتح هذه الاروقة على بيت الصلاة (أنظر الشكل رقم: 9) التي يتصدرها جدار القبلة الذي يتوسطه محراب نصف دائري (أنظر الشكل رقم: 10) قياس عرضه 1.10 متر بينما عمقه يساوي 65 سم وارتفاعه 2.35متر، تعلوه حنية وفي كل جانب من جانبيه عمودان بارتفاع 1.35متر.

الشكل (10) : قاعة الصلاة

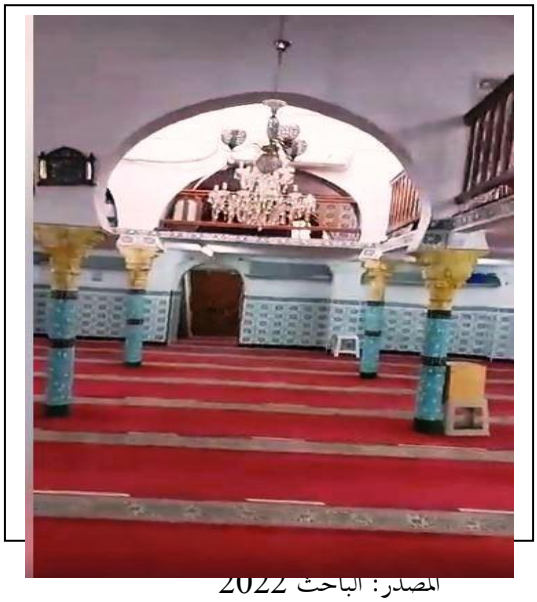

المصدر: الباحث 2022

الشكل (11) : المحراب

تتوزع في بيت الصلاة أربعة صفوف من الأعمدة نصف الدائرية بعدد خمس في كل صف، وترتكز هذه الأعمدة مباشرة على أرضية قاعة الصلاة، وهي تحمل تيجانا بلفائف ركنية على جوانبها الأربع وتعلوها حدارات مصممة خمس تدريجات (سعاد بن شامة، 2009، صفحة 84).

كما توجد بالمسجد قاعة علوية يصعد اليها بسلم في الرواق الشمالي عند المدخل الرئيسي، حيث حدثت توسعة للمسجد على حساب الميضئة والنافورة عند المدخل الشمالي بعد هدمهما وسقيف المكان، اذ بنيت على نفس نظام البيت الأصلي.

الشكل (12) : توضيح السدة

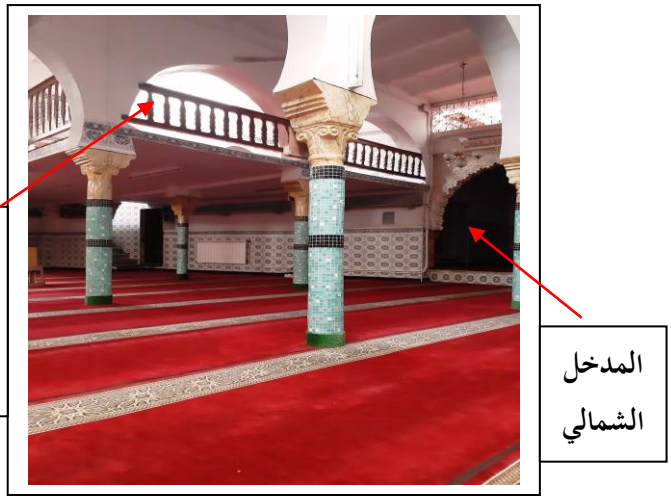

المصدر: الباحث 2022

الشكل (13) : توضيح سلم السدة

المصدر: الباحث 2022

تتنوع المآذن في أشكالها واحجامها وكذا مواضعها من المسجد وهي تفتح بذلك بابا واسعا وغنيا للبحث والدراسة وهي بناء رأسي (عبد الكريم عزوق ، 1996، صفحة 56)، وتختلف الأسماء التي تطلق على المئذنة فهي تعرف بالصومعة في الشمال الفريقي، والمنارة في الإسكندرية، كما أطلق عليها العساس (رزق عاصم محمد ، 2000، صفحة 307)، واختلف شكل المآذن باختلاف المناطق في العالم الإسلامي، حيث صممت بشكل مربع في المغرب الإسلامي وتميز شكلها بالاسطواني في تركيا أما في مصر فقد تنوع شكلها مع تعدد المراحل التاريخية بها (Marcais, G, 1957, page 79).

يبلغ ارتفاع مئذنة مسجد ابن سعدون بـ 35متر مما لايسهل رؤيتها من الشوارع المحاذية لها للمسجد، وهي على شكل مربع الذي يبلغ عرض كل ضلع من اضلاعه بـ 3متر، وتحتوي المئذنة على أربعة طوابق بحيث كل طابق يحتوي على نوافذ صماء (أنظر الشكلين 13 و14).

الشكل (14) : مئذنة مسجد ابن سعدون

المصدر: الباحث 2022

الشكل (15) : مئذنة مسجد ابن سعدون تتوسط المباني

المصدر: الباحث 2022

الشكل (16) : مخطط مسجد ابن سعدون بن بابا علي

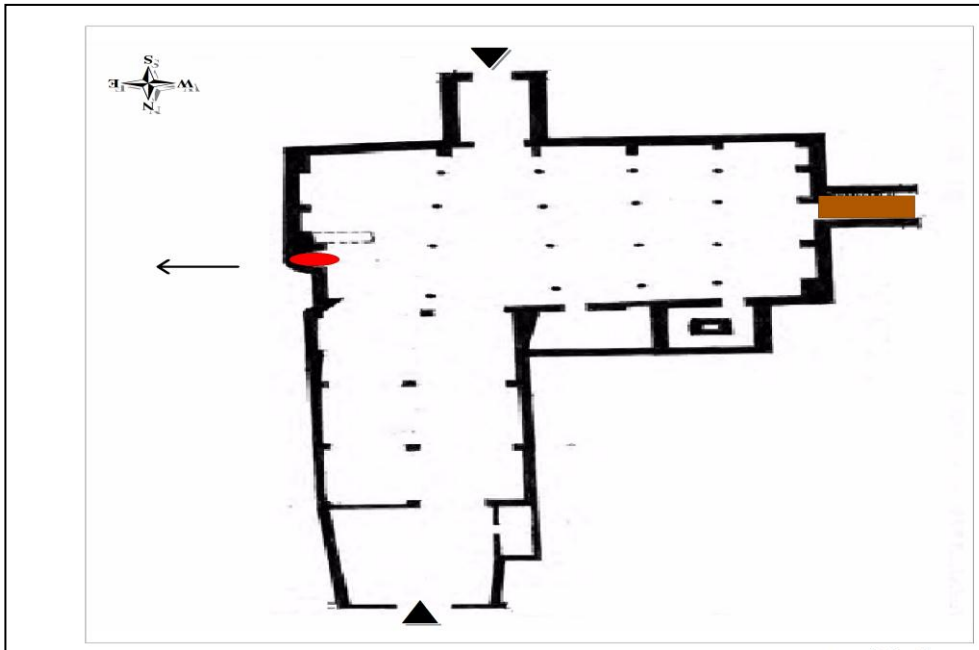

2 . 2 .التعريف بمسجد التركي الحنفي :

أنشئ المسجد التركي الحنفي سنة 1164هـ الموافق لعام 1750م حيث يتمركز بوسط مدينة البليدة اذ تطل واجهته الرئيسية في الناحية الغربية على شارع رزوق الزغيمي المعروف سابقا بالمقهى الكبير أما الواجهة الشمالية فتطل على شارع الكراغلة، بينما الوجهة الجنوبية تطل على شارع العيشي عبد الله، ومن الوجهة الشرقية نجده متصل ببنايات تعود الى الفترة الاستعمارية.

المسجد هو وقف عام حبوس حيث كان أغلب الجزائرين في تلك الفترة يوقفون أملاكهم حسب ما تنص عليه أحكام المذهب الحنفي حتى يتمكنوا من الانتفاع بها هم وعقبهم من بعدهم (ناصر الدين سعيدوني، 1984 ، صفحة 230، 231).

الشكل (17) : الواجهة الرئيسية للمسجد التركي الحنفي

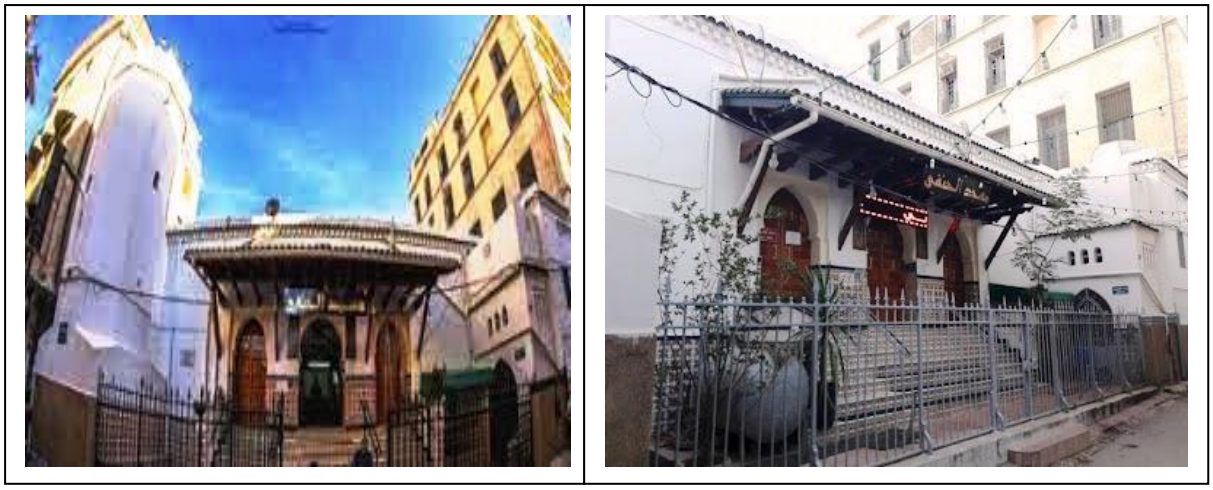

المصدر: الباحث 2022

ان المسجد الحنفي التركي مسجد صغير بني على ارتفاع ملحوظ فوق قبو مما جعل أرضيته مرتفعة، ويبرز من هذا القبو جزءه العلوي من جداره حيث يقتصر بناؤه على كتلة قاعة الصلاة لانعدام الصحن فيه حيث يسمى بيت الصلاة أيضا بحيز الصلاة أو الظلة أو الرواق، وهناك عدة أشكال لبيت الصلاة فقد يكون مستطيلا أو شبه منحرف أو دائرة (محمد حسن نوبي، 2002 ، صفحة 53)، بينما الصحن وهي المساحة المكشوفة من المسجد و تتصل بحرمه و أروقته وجدرانه الخارجية (محمد حسن نوبي، 2002 ، صفحة 56).

تنفتح المداخل على بيت الصلاة وهي مستطيلة الشكل ويتصدرها جدار القبلة الذي يتوسطه المحراب المقابل للمدخل الأوسط في الجدار الشمالي، وهذا كما يوضحه الشكل رقم 16.

الشكل (18) : بيت الصلاة للمسجد التركي الحنفي

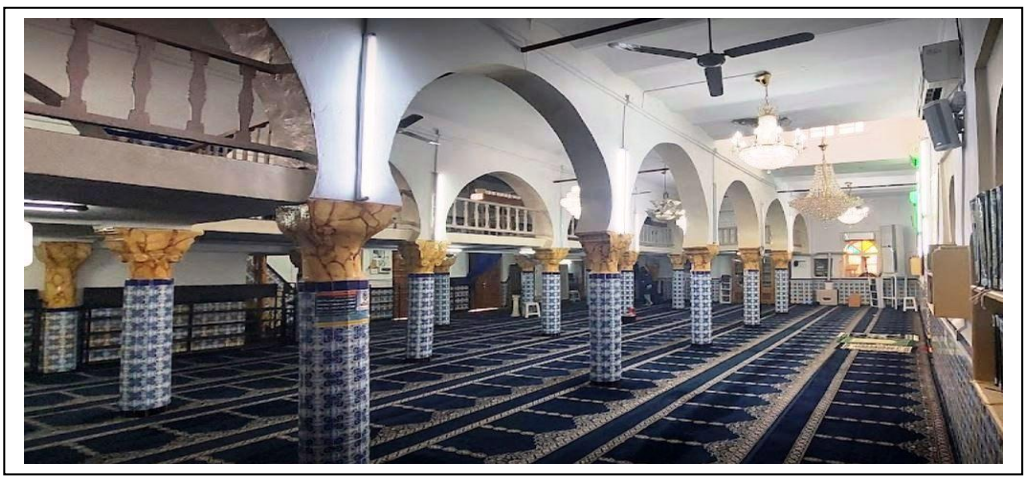

المصدر: الباحث 2022

ويتخذ المحراب شكلا نصف دائريا بعمق 0.5م، وبارتفاع 2.3م ، اما فتحته فهي بقياس 0.90 م، وفي كل جانب منه ثلاثة أعمدة ويعلوه عقد متجاوز منكسر، ويعرف المحراب بصدر البيت وسمي بذلك لانفراد الامام فيه، وتعارف العلماء على اطلاق كلمة المحراب على جدار القبلة(محمد حسن نوبي، 2002 ، صفحة 71)، وقد تطورت المحاريب وأخذت أشكالا مختلفة وأصبحت ناحية من نواحي التنافس في الابتكار بين المعماريين (حسين مؤنس، 1989 ، صفحة 70).

الشكل (19) : المحراب للمسجد التركي الحنفي

المصدر: الباحث 2022

ان المنبر المتواجد في المسجد التركي الحنفي متحرك بحيث يوضع أمام المحراب وصنع من الخشب بتسع درجات والزخارف المعمولة عليه من الأطباق النجمية، دونت عليه الآية الكريمة :" هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ".

وعندما بنى الرسول صلى الله عليه وسلم كان منبره أول الامر مجرد ارتفاع في الأرض الى جانب وضع المحراب، وتطورت وأصبحت تصنع بالخشب وكبر حجمها (حسين مؤنس، 1989 ، صفحة 72).

الشكل (20) : المنبر للمسجد التركي الحنفي

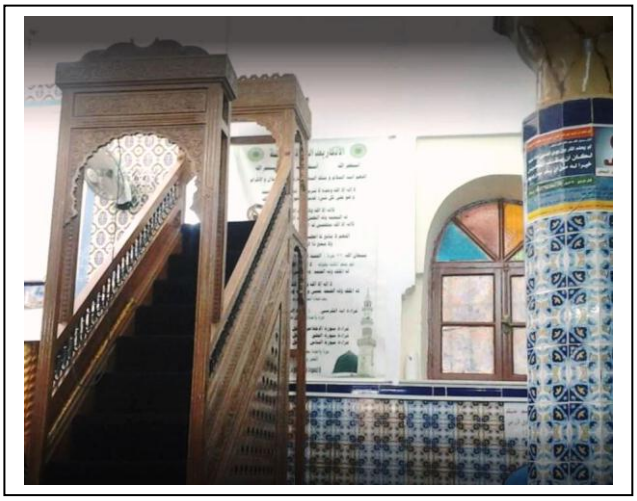

المصدر: الباحث 2022

ونظرا لصغر مساحة المسجد، أضيف حيز جديد لاقامة الصلاة وهو ما يعرف بالسدة بشكل الحرف اللاتيني " H " بمثابة طابق أعلى داخلي، وهي تشرف على بيت الصلاة ويتم الصعود اليها بسلمين أحدهما يمين مدخل بيت الصلاة والثاني على يسارها.

الشكل (19) : توضيح السدة والسلم للمسجد التركي الحنفي

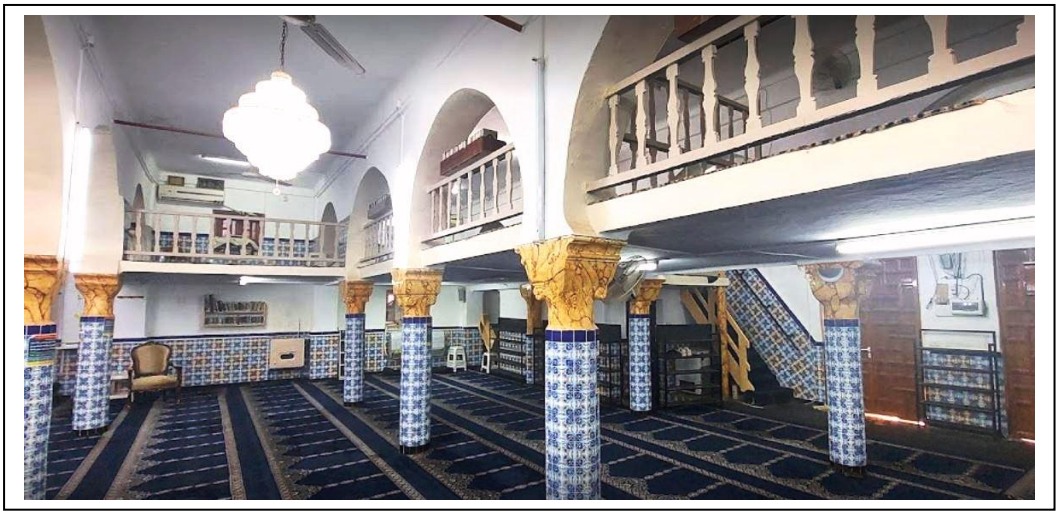

المصدر: الباحث 2022

وبينما المئذنة نجدها في الركن الشمالي الغربي من المسجد بحيث تتكون من ثمانية أضلاع حيث يبلغ قياس كل ضلع من أضلاعها 1.10 م، بها افريز من القرميد يطوقها في الأعلى أعطاها لوحة معمارية متميزة، كما فتحت بها فتحات معقودة للانارة الداخلية والتهوية. واقترن بناء المآذن بالمساجد لدرجة أننا لا نعثر على مسجد من دونها لأهميتها والعلاقة الطردية بين الارتفاع و وصول الآذان الى أبعد مكان ممكن من المدينة.

ولم تكن للمساجد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مآذنا، وقد ورد عن البخاري أن المسلمين حين وصلوا المدينة كانوا يجتمعون، فيتحينون الصلاة، ليس ينادى لها (سالم عبد العزيز، 1986 ، صفحة 249)، وظل الامر على هذا الحال الى السنة السابعة للهجرة (طه الولي، 1989 ، صفحة 244).

الشكل (20) : مئذنة مسجد التركي الحنفي

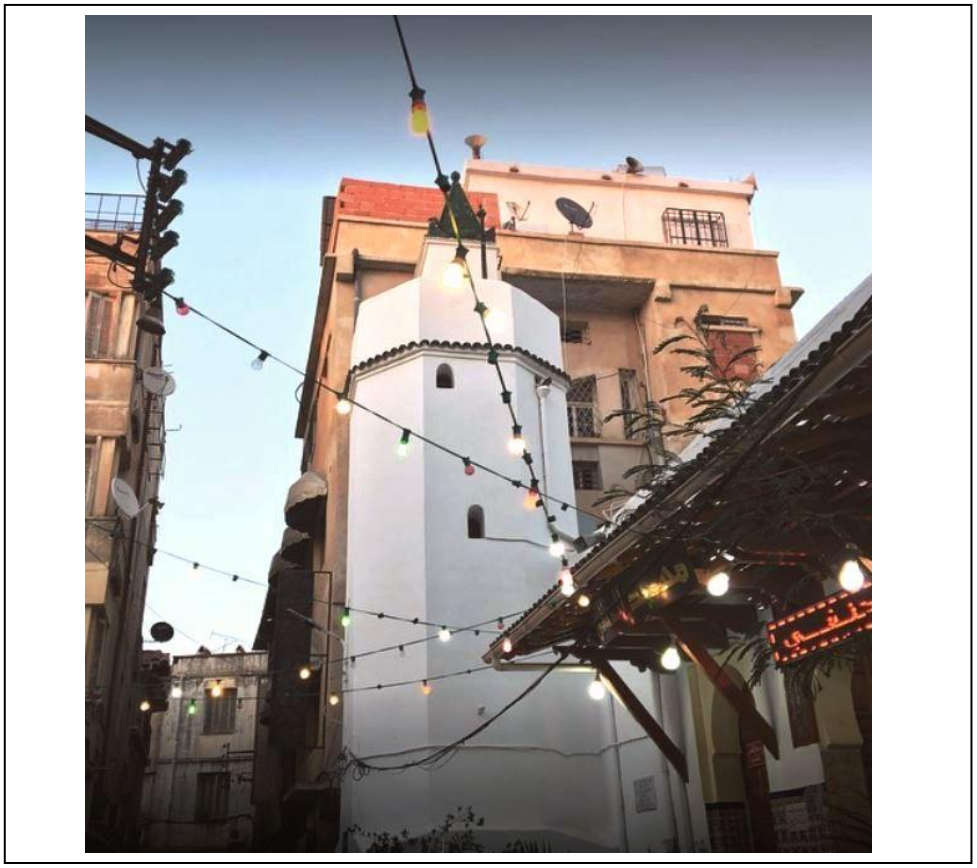

المصدر: الباحث 2022

الشكل (21) : مخطط مسجد التركي الحنفي

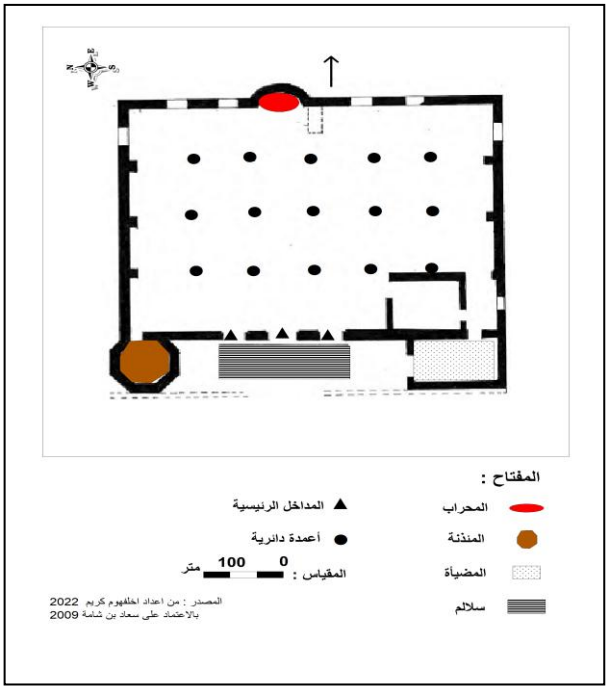

المصدر: الباحث 2022 بالاعتماد على عمل سعاد بن شامة 2009

3 . دراسة مقارنة بين المساجد التاريخية

في هاته الدراسة اعتمدنا على مقارنة بين مساجد مدينة البليدة ومساجد مدينة الجزائر خلال نفس العهد العثماني .

3. 1. التعريف بمسجد علي بجنين" حاليا يسمى بمسجد علي بتشين":

شيد مسجد" علي بجنين "في سنة 1032 هـ الموافق لسنتي 1622- 1623 م، من طرف الإيطالي" بيسينينو" (Piccinino)الذي أسلم وأصبح يدعى" علي بجنين (Devoulx (A) , 1870 , p58)، وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر حول المسجد إلى صيدلية للجيش المستعمر ثم إلى كنيسة عام 1843 م(بن حموش(م)، 2007، ص 28). وتعرض إلى تهديم جزء من منارته سنة 1860 م، ويقع هذا المسجد بين شارعي باب الوادي ومحمد صويلح.

يحتوي المسجد في طابقه الأرضي على :سبع محلات ومدخل ثانوي يؤدي إلى الضريح على الواجهة الشرقية التي تطل على شارع باب الوادي، وتسع محلات ومدخل رئيسي على الواجهة الجنوبية التي تطل على شارع محمد صويلح، وأما بالطابق الأول فنجد قاعة الصلاة التي تقع على 7 أمتار من مستوى الشوارع المحيطة بالمسجد(يعتبر من المساجد المعلقة لكونه قائم فوق المحلات ويصعد إليه بدرج.

الشكل (22) : مسجد علي بجنين قبل تدخل المستعمر

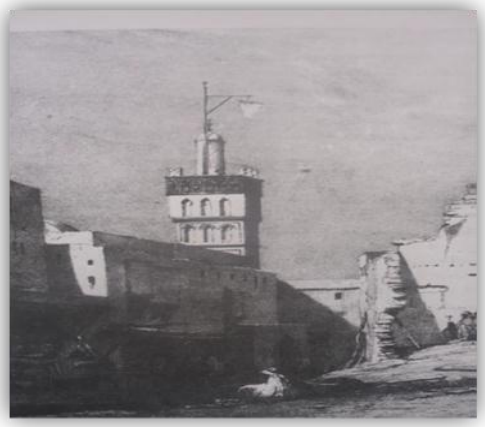

المصدر: Lessore et Wyld, 1835, pl.35

الشكل (23) : مسجد علي بجنين بعد الاستقلال

المصدر: الباحث 2021

أما قاعة الصلاة فهي تميل إلى الشكل المربع يبلغ ضلعه 22 م X 23 م (أنظر الشكل رقم)، وأقيمت في وسطها قبة كبيرة مثمنة الشكل ترتكز على أربعة أعمدة رئيسية وثمانية أعمدة ثانوية، وتلتف حول هذه القبة التي قطرها (10.60 م X 11.00 م) عشرون قبة صغيرة يتراوح قطرها بين (2,21 – 3,21 م).

الشكل (24) : قاعة الصلاة بمسجد علي بجنين

المصدر: الباحث 2021

الشكل (25) : قبة مسجد علي بجنين

المصدر: الباحث 2021

وتمثل القبة الكبيرة خمسة أضعاف ارتفاع القباب الصغيرة المقابلة للمحراب، أما المحراب فيتميز بشكل سداسي الأضلاع يبلغ عرضه 1.72 م وعمقه 1.72 م (Bourouiba (R) .1986 . p 154)، ويتوسط جدار القبلة ويخرج من الواجهة الشرقية للمسجد على شكل جناح، أما الميضأة فقد كانت تقع خارج المسجد على امتداد واجهتها الجنوبية التي تطل على شارع محمد صويلح.أما المئذنة فهي مربعة الشكل، تقع في الزاوية الشمالية الشرقية من قاعة الصلاة، ارتفاعها الحالي 15 م ، أما ارتفاعها الحقيقي قبل الهدم فيبلغ 26م (Chergui (S) 2011. P 90) وحسب صورة المئذنة قبل تدخل المستعمر (أنظر الشكل رقم 22)، فإننا نلاحظ أنها تتكون في الأصل من برجين : برج رئيسي ذو قاعدة مربعة الشكل فوقه برج أصغر منه ذو قاعدة دائرية الشكل.

وقام مكتب الدراسات "Atelier 3 Dimensions بترميم المسجد عام 2001 (أنظر الشكل رقم 26)

الشكل (26) : مخطط طولي لمسجد علي بجنين قبل وبعد عملية الترميم مرفق بمجسم ثلاثي الأبعاد

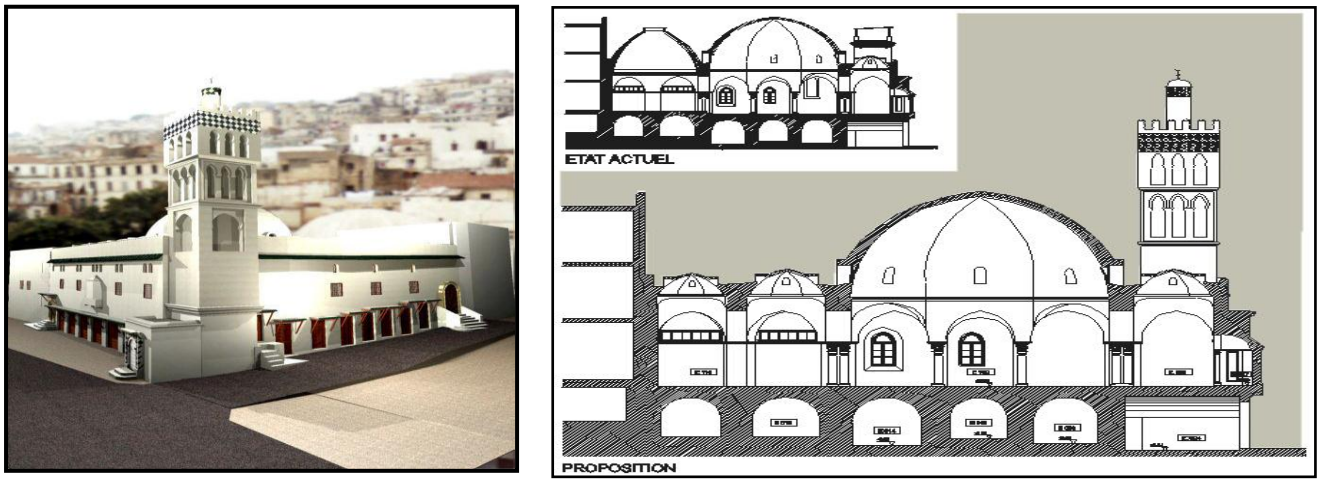

المصدر: مكتب الدراسات Atelier 3 Dimensions عام 2001 وبتصرف من الباحث

3. 2. الجامع الجديد

أمر ببناء الجامع المعسكر الإنكشاري وبأموال مؤسسة الخيرات التي كانت تتولى شؤون الأحباس الحنفية (بن حموش م 2007. ص61) عام 1070 هجري الموافق لسنة 1660 من وهذا التاريخ مثبت في نص منقوش على يسار المحراب (Dokali ,R 1970, p 53)، ويعد الجامع من أهم المساجد في العهد العثماني، ويوجد الجامع الجديد مقابل ساحة الشهداء ذو شكل مستطيل يتراوح أبعاده (39.50م X 24م) (Koumas Ahmed et Nafa Chéhrazade,2003, p 142) .

تمتد بقاعة الصلاة ثلاث بلاطات عمودية على جدار المحراب(القبلة)، تقطعها خمسة أساكيب، وفي المستوى العلوي للبلاط الأوسط والأسكوب قبل الأخير يشكلان على مستوى السقف شكل صليب، تقاطع أذرعها ينتهي بقبة كبيرة، في حين البلاطين الأخرين الموجودين على الجانبين فتم تغطيتهم بقبب صغيرة وأسطح مستوية .وللمسجد قبة كبيرة مبنية بالآجر، تهيكلها أربعة أعمدة موجودة في زواياها، وتوجد أربعة قبب صغيرة تحيط بالزوايا الأربعة للقبة الكبيرة، وتغطي البلاطين الجانبين.

الشكل (27) : الجامع الجديد بمدينة الجزائر

المصدر: الباحث 2021

أما محراب الجامع فهو ذو مشكاة ثمانية الأضلاع، ويبلغ عرض تجويفة المحراب 1.50 م وجوفها 1.95 م، فتحته على هيئة عقد حدوي مزين بفصوص صغيرة جصية، والجزء الأعلى من المحراب مزين بالزخارف الجصية بنوعيها الكتابية والنباتية وجزءه السفلي مزين بالبلاطات الخزفية، وأما العمودان اللذان يكتنفان المحراب فهما من الرخام الأبيض ادمجا في الجانبين ويتميزان بصغر حجمهما(بن بلة.خ. 2013، ص130).

وأما المنبر المصنوع في إيطاليا فهو من الرخام، جيء به من" مسجد السيدة "المهدم عام 1832م من طرف الاستعمار الفرنسي، والذي كان مكانه غير بعيد عن هذا الجامع، وقد أعيد ترميم الجامع سنة 1999 م، وفي المسجد نجد الدكة التي يتم الصعود إليها بواسطة درج يتكون من إحدى عشرة درجة، فتحة مدخله على هيئة العقد المتجاوز، وأعلى الصدر مزين بعقد نصف دائري مفصص.

شكل رقم (28):محراب الجامع الجديد

المصدر: الباحث 2021

شكل رقم (29):منبر الجامع الجديد

المصدر: الباحث 2021

أما مئذنة المسجد فهي مربعة الشكل تقع على الجانب الشمالي الغربي ويبلغ ارتفاعها حاليا 25 م حيث تتكون من برجين: البرج الرئيسي والبريج ذو ارتفاع أقل بكثير من البرج الرئيسي.

3. 3. المقارنة ما بين مساجد مدينة البليدة وممساجد مدينة الجزائر

بعد الدراسة المعمارية الوصفية للمساجد التاريخية بمدينتي البليدة والجزائر خلال نفس الفترة العثمانية، سنقوم بالمقارنة فيما بينهم بالاعتماد على المعايير المدرجة في الجدول رقم (**01**)

جدول رقم (01): المقارنة ما بين مساجد مدينة البليدة وممساجد مدينة الجزائر

المعايير	مساجد مدينة البليدة		مساجد مدينة الجزائر	
	ابن سعدون بن بابا علي	التركي الحنفي	علي بجنين	الجامع الجديد
عهد الانشاء	العهد العثماني	العهد العثماني	العهد العثماني	العهد العثماني
شكل قاعة الصلاة	مستطيل	مستطيل	مربع	مستطيل
مداخل قاعة الصلاة	من الجهة الجنوبية والشمالية	من الجهة الشمالية لقاعة الصلاة	من الجهة الجنوبية لقاعة الصلاة	من الجهة الغربية لقاعة الصلاة
الصحن أو الفناء	غير موجود	غير موجود	موجود	موجود
شكل المحراب	تجويف في جدار القبلة	تجويف في جدار القبلة	تجويف في جدار القبلة	تجويف في جدار القبلة
مادة صنع المنبر	بشلخا	الخشب	الخشب	الرخام
شكل المئذنة	مربعة	مثمنة	مربعة	مربعة
ارتفاع المئذنة	35 متر	19 متر	15 متر	25 متر
موقع الئذنة	تقع بالزاوية الغربية لقاعة الصلاة	تقع بالركن الشمالي الغربي من المسجد	تقع في الزاوية الشمالية الشرقية من المسجد	تقع بالزاوية الشمالية الغربية لقاعة الصلاة
القبة	غير موجودة	غير موجودة	موجودة	موجودة

المصدر: الباحث 2022

4. سياسة الحفاظ على المساجد العتيقة كإرث معماري في الجزائر:

تعتبر الجزائر من الدول المصادقة على اتفاقية التراث العالمي الثقافي والمادي عام 1972، مما اعطى دعما هاما للحفاظ على التراث الثقافي بمختلف أنواعه، وفي سنة 1998 تم اصدار القانون رقم 98 -04 والمتضمن حماية التراث الثقافي في الجزائر، وأهم ما جاء به هو توسيع دائرة مفهوم التراث الثقافي واستحداثه لأدوات التكفل بالإرث المعماري وادراته (Ouageni Yacine Chéhrazade .2006, p 1) ، وجاء المرسوم التنفيذي رقم 03- 322 والمتعلق بكيفية ممارسة الاعمال الفنية المتعلقة بالممتلكات العقارية المحمية.

وتعد تجربة الحفاظ على المسجد العتيق بالأغواط من أحسن الممارسات في الحفاظ التراث المعماري، إذ يعتبر أول عملية ترميم أشرفت عليها مديرية الثقافة بإعتبارها صاحب المشروع و مكتب دراسات بالإستعانة برئيس المشروع المتمثل في مهندس معماري للمعالم التاريخية و المواقع المحمية مؤهل من طرف وزارة الثقافة، بالإضافة إلى كون المسجد العتيق من أهم البنايات التاريخية في الولاية بكل ما يمثله من عمق تاريخي و طابع معماري أصيل و تقنيات و مواد بناء تقليدية، و كذلك الحالة التقنية التي كان عليها المسجد.

وتم انجاز مشروع ترميم المسجد العتيق بالأغواط وفقا للمراحل والخطوات المحددة في المادة 07 من المرسوم التنفيذي رقم 03- 322 والمحدد للاعمال الفنية المتعلقة بترميم الممتلكات الثقافية العقارية المحمية (شتيح عزالدين ، ريبوح بشير، 2018، ص 119) .

شكل رقم (30): مراحل الأعمال الفنية المتعلقة بترميم الممتلكات الثقافية العقارية المحمية في الجزائر

مراحل الأعمال الفنية المتعلقة بترميم الممتلكات الثقافية العقارية المحمية

1ـ مرحلة الدراسة:
- **المعاينة والتدابير الاستعجالية.**
- **البيانات والمصادر التاريخية.**
- **الحفظ والتشخيص.**
- **الترميم.**
- **المساعدة في اختيار مؤسسات التنفيذ**

2ـ مرحلة المتابعة:
- **متابعة أشغال الترميم ومراقبتها.**
- **اقتراح مخطط زمني لتسديد الحقوق المالية للمشروع.**

3 ـ مرحلة النشر:
يحدد محتويات المشروع على شكل قرار من طرف الوزير المكلف بالثقافة.

المصدر: المادة 07 من المرسوم التنفيذي رقم 03- 322 والمحدد للاعمال الفنية المتعلقة بترميم الممتلكات الثقافية العقارية المحمية – 2003 -

شكل رقم (31): مسجد الأغواط العتيق قبل الترميم سنة 2009

المصدر مديرية الثقافة لولاية الأغواط 2009

شكل رقم (32): مسجد الأغواط العتيق 2016

المصدر :شتيح عزالدين و ريبوح بشير 2016.

الخلاصة:

تتميز مدينة البليدة بمنشآت معمارية فنية متنوعة، من أهمها الفن المعماري الإسلامي والذي يعود للعهد العثماني المترجم في الفن المسجدي، بحيث عرفت الفترة العثمانية بناء أربعة مساجد، ولكن بفعل الكوارث الطبيعية التي عرفتها المنطقة بقي منها حاليا مسجدين وهما: مسجد ابن سعدون، والمسجد التركي الحنفي.

يقوم كل من مسجد ابن سعدون والتركي الحنفي على عناصر معمارية أصيلة من مميزتها صغر حجمها حيث تقدر مقاسات أبعاد مسجد ابن سعدون 14.90 م x 14.70م والمسجد التركي بـ 19.50م x 14.00 م، ويعود صغر مساحتهما الى تواجدهما بنفس الحي تقريبا، واختصاص كل واحد منها بمذهب واحد مختلف عن الأخر.

وبدراسة مخطط المسجدين نجدهما من نمط المساجد مستطيلة الشكل، وهو شكل مالوف أتت عليه غالبية المساجد سواء في المشرق أو المغرب العربي حيث أنهما لم يخرجا عن مواصفات أسس البناء القائمة في العهد العثمانين نظرا لانسجام فن التخطيط المعماري مع وظيفة المسجد.

وللحفاظ على هذا الإرث المعماري الديني والروحي نوصي ببعض التوجيهات التالية:

. القيام بأشغال الترميم بصفة دورية من طرف المختصين في ترميم المساجد العثمانية.

. اشراك المجتمع المحلي في المحافظة على المسجدين .

وتبقى عملية المحافظة على الممتلكات العقارية الثقافية مسؤولية الجميع من الوزارة الوصية ، السلطات المحلية، المواطن ونحن الباحثين.

الإحالات والمراجع:

1. ابلي ل. (1985). تطور العمارة الإسلامية في اسبانيا والبرتغال وشمال إفريقيا (1). بيروت، لبنان: دار آسيا.

2. بن بلة . خ. (2013). نماذج من محاريب المساجد الجامعة بالجزائر في العهد العثماني. Revue d'études archéologiques, 11(1), 127-139. استرجع في من https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/210/11/1/63614

3. بن حموش م. (2007). مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العهد العثماني"، من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثم (1). الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.

4. بن شامة س. (2009). المنشآت المعمارية بمدينة البليدة في العهد العثماني (رسالة ماجستير ,جامعة الجزائر يوسف بن خذة). استرجع في من http://hdl.handle.net/1635/10075

5. الجريدة الرسمية الجزائرية ا. ا. ا. (1998). القانون رقم 98- 04 والمتضمن حماية التراث الثقافي في الجزائر (1). الجزائر: رئاسة الجمهورية ، المطبعة الرسمية.

6. الجريدة الرسمية الجزائرية ا. ا. ا. . (2003). المرسوم التنفيذي رقم03 -322 والمتعلق بكيفية ممارسة الاعمال الفنية المتعلقة بالممتلكات العقارية (1 ط). الجزائر: رئاسة الجمهورية ، المطبعة الرسمية.

7. الجريدة الرسمية الجزائرية ا. ا. ا. . (2013). المرسوم التنفيذي رقم 13- 377 والمتعلق بالقانون الأساسي للمسجد (1). الجزائر: رئاسة الجمهورية ، المطبعة الرسمية.

8. الجريدة الرسمية الجزائرية ا. ا. ا. . (2022). قرار وزاري مشترك والذي يحدد دفتر الشروط النموذجي المتعلق بنمطية بناء المساجد (1 ط). الجزائر: رئاسة الجمهورية، المطبعة الرسمية.

9. رزق عاصم م. (2000). معجم مصطلاحات العمارة والفنون الاسلامية (1 ط). القاهرة مصر: مكتبة مدبولي.

10. ريبوح ب., & شتيح . ع. (2018). واقع ممارسات الحفاظ على التراث المعماري بالجزائر العوائق والآفاق، حالة دراسية: مشروع ترميم المسجد العتيق بالأغواط . مجلة علوم وتكنولوجيا D , 1(47), 117-127. https://doi.org/http://revue.umc.edu.dz/index.php/d/article/view/3130/3296

11. سالم . ع. ا. (1986). المآذن المصرية، نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح العربي حتى الفتح العثماني (1 ط). الاسكندرية ، مصر: مؤسسة شهاب الجامعة .

12. سعيدوني ن. ا. (1984). الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر (1). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

13. عزوق ع. ا. . (1996). القباب والمآذن في العمارة الإسلامية (1). بن عكنون الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

14. مؤنس ح. . . (1989). المساجد (1 ط). الكويت: عالم المعرفة.

15. نوبي ح. . م. (2002). عمارة المسجد في ضوء القرآن والسنة (1 ط). القاهرة مصر: دار الشرق.

16. ولاية البليدة و. ا. (1986). مدينة البليدة خلال العهد العثماني. مرآة المتيجة , 1(1), 1-6.

17. الولي ط. (1989). المساجد في الإسلام (الطبعة الاولى). بغداد ، العراق: دار العلم للملايين.

18. Bourouiba, R. (1986). Apports De L'Algérie A L'architecture Religieuse Arabo-Islamique (1) O.P.U.

19. Chergui, . S. (2011). Les mosquées d'Alger – Construire, gérer et conserver (XVIe – XIXe siècles) (1). Paris: Presses de l'université Paris-Sorbonne.

20. Devoulx, A. (1870). Les édifices Religieux de l'Ancien Alger (1). Paris: Revue Africaine.

21. J.D, LABRUYERE , J. L. (1988). Urbanisation en Algérie :Blida, Processus et Formes (1 ط). Lyon.: Orient Méditerranéen .

22. Koumas , A., & Nafa , C. (2003). L'Algérie et son patrimoine, Dessins français du XIXe Siècle (1). paris: Centre des monuments nationaux / Monum, Editions du patrimoine.

23. MARCAIS,G, M. (1957). L'Algérie médiéval, monuments et paysage historiques (1). France: Paris.

24. Ouageni , Y. . . (2006). La politique de sauvegarde et ses outils . the EUROPEAN JOURNAL OF PLANNING, 2(40), 1-6. https://doi.org/file:///C:/Users/Dell/Downloads/algeri-ouaqueni.pdf

25. TRUMELET, T. (1987). BLIDA, Récites selon la légende la tradition et l'histoire (1). Alger: OPU.